المحاضرة الثامنة:

المادة: تاريخ الخلفاء الراشدين والدولة الاموية من(١١-١٣٢هجري)

المرحلة: الثانية للدراسات المسائية

العام الدراسي :٢٠٢٤-٢٠٢٥

استاذ المادة: المدرس/ منذر منعم سعد

رابعاً: التخدير باسم الدين وشل الروح الثورية

كان الأمويون وما زالوا من أخطر اعداء النبي (ص)، وانهم اعتنقوا الاسلام في آخر ساعة مرغمين ثم سنحت لهم الفرصة بأن يحولوا لأنفسهم ثمرة حكم الدين فأصبحوا القائمين عليه، المغتصبين لسطانه، فأعادوا الاسلام والمسلمين الى الجاهلية الأدنى، بهذه المشاعر ونظائرها واجه المسلمون الدولة الأموية، فأراد معاوية ان يتغلب على هذا الشعور العام بسلاح الدين نفسه، كما أراد التوصل لتحطيم ما لأعدائه من سلطان روحي على المسلمين عن هذه الطريق ايضاً، فد وضع جماعة من الصحابة وآخرين من التابعين روايات قبيحة في الامام علي (ع) تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم جعلاً يُرغب في مثله ومن هؤلاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب، ومن التابعين عروة بن الزبير.

أ- **ظاهرة وضع الحديث**

لقد أوجد معاوية واصحابه التبرير الديني لسلطان بني أمية او لكبح الجماهير عن الثورة برادع داخلي هو الدين نفسه، فافتعلوا الاحاديث المختلفة التي تتضمن الطعن في علي (ع) واهل بيته ونسبتها الى النبي (ص) مقابل الإكثار من فضائل كل من خالف الامام علي (ع) من الصحابة. وكان معاوية يبعث بالصلات والكساء والحباء والقطائع لكل من لفق حديثاً بهذا الشأن، فكثر المتنافسون على الدنيا، فرويت اخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ورويت من على المنابر والكتاتيب وحلقات الدرس والمواعظ ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان اعظم الناس من ذلك بلية القُراء المراؤون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الاحاديث فيحظوا بذلك عند ولاتهم

ويقربوا مجالسهم. فقد ذكر ابن ابي الحديد: ((فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسين بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة)).

لذلك قال ابن عرفة المعروف بـ "نفطويه" – وهو من اكابر المحدثين واعلامهم – : ((ان اكثر الاحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في ايام بني أمية تقرباً اليهم بما يظنون انهم يرغمون به أُنوف بني هاشم)).

ووضعت الاحاديث التي تخدر المسلمين من الثورة ضد الظلم والظالمين والرضوخ لهم. فقد رُويَ عن عبد الله بن عمر انه قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها، قالوا، فماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا اليهم حقهم، وسلوا الله حقكم)).

وقال مرة اخرى: ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإن من فارق الجماعة شبراً فما مات إلا ميتةً جاهلية)).

وقال ايضاً: ((ستكون هنات وهنات، فمن أراد ان يفرق أمر هذه الأمة وهي جمع فاضربوه بالسيف كائناً من كان)).

وهناك لون آخر في التضليل الديني استخدمه الأمويون لتثبيت ملكهم وبرعوا في استخدامه وهو تأسيس الفرق الدينية السياسية التي تقدم للجماهير تفسيرات دينية تعزز من سلطة الأمويين وتخدمها وتبرر اعمالها.

ب- <u>تأسيس فرق باسم الدين</u>

من هذه الفرق "فرقة المرجئة" التي اعتبرت الايمان عملاً قلبياً خالصاً لا يحتاج الى التعبير بفعل من الافعال، فيكفي الانسان ان يكون مؤمناً بقلبه ليعصمه الاسلام ويحرم الاعتداء عليه، فهم يعلنون: "لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة" و "ان الايمان الاعتقاد بالقلب وان اعلن الكفر بلسانه وعبد الأوثان ولزم اليهودية والنصرانية ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان من اهل الجنة".

والنتيجة ان الأمويون مؤمنون مهما ارتكبوا من الكبائر، وان حكومتهم الجائرة حكومة شرعية لا يجوز الخروج عليها.

وقبالة هذه الفرقة نشأت فرقة اخرى اخذت ابعاداً كثيرة هي "فرقة القدرية" القائلين بحرية الإرادة والاختيار، وان الانسان هو الذي يختار نوع السلوك والعمل الذي يمارسه في حياته، فشكلت هذه الفرقة خطراً كبيراً على الأمويين الذين كانوا يخافون من رقابة الأمة عليهم وعلى تصرفاتهم، لذلك اضطهدوا اصحاب هذه العقيدة وناصروا العقيدة المضادة

لهم "عقيدة الجبر" التي كانت تلائمهم في الميدان السياسي لأنها توحي الى الناس بأن وجود الأمويين وتصرفاتهم مهما كانت شاذة وظالمة ليست سوى قدر مرسوم من الله ولا يمكن تغييره او تبديله، فلا جدوى اخرى من الثورة عليهم.

لذلك كان معاوية بن ابي سفيان يتظاهر بالجبر والارجاء لأجل تبرير أفعاله أمام الملأ لأنها مقدرة لا سبيل الى تبديلها، في الوقت نفسه فهي غير قادحة فيه باعتباره حاكماً دينياً.

يقول الدكتور أحمد أمين: "بنو أمية – كما يظهر – كانوا يكرهون القول بحرية الارادة لا دينياً فقط ولكن سياسياً كذلك، لأن الجبر يخدم سياستهم، فالنتيجة للجبر ان الله الذي يُسيِّر الأمور قد فرض على الناس بني أمية كما فرض كل شيء، ودولتهم بقضاء الله وقدره، فيجب الخضوع للقضاء والقدر".

كان هذا الخداع والتخدير الديني أحد أركان السياسة الأموية الذي تكفل بإيجاد تبرير ديني للوضع الاجتماعي الشاذ الذي كان عليه المجتمع الاسلامي، أُريدَ منه حمل الجماهير المسلمة على السكوت عن النقد والقعود عن محاولة اي تغيير الى وضع مستوٍ احسن وبذلك يختفي الشعور بالإثم من ضمير الناس، هذا الشعور الذي يدفع الى الثورة حين يبلغ درجة ضغط عالية، وعندما يضمحل الشعور بالإثم يستقر المجتمع نهائياً.